الفصل الأول

شذرات من محاور الإبداع

لشعراءِ الغربة

شذرات من محاور الإبداع :

إبداع المتغرب وما تعنيه هذه الكلمة من معنى وما تتجسد الصورة الشعرية المفعمة بالأحاسيس الجياشة بالحب للوطن والأهل وما تفرضه من معاناة واضحة على الكثير من القصائد والصرخات التي أطلقها أدباؤنا في الغربة، ممن هاجر من الوطن إلى ديار لم يكن قد عرفها من قبل، وفرضت عليهم قيود المعيشة الصعبة هناك، حتى وصل الأمر بالكثير منهم أن لا يجد الطعام الذي هو ديمومة الحياة، فكانت معاناتهم قاسية ودامية إلى الحد الذي تنوء به هذه القصائد التي أصبحت في وقتنا هذا صورة شعرية مبدعة جياشة بالشعور والإحساس عن المعاناة المرة التي يعيشونها هناك في مختلف الأصقاع من العالم !

وعندما نجد السير والبحث في مجاهل الصحراء الواسعة ونبش هذا التراث الكبير وتبيان صوره المبدعة أمام القراء، نجد أننا قد بينا جزءاً مهماً من كتابات هؤلاء الذين فارقوا أهلهم وذويهم وحتى فلذات قلوبهم، وبالتالي أثرت هذه الغربة على نتاج الكثير منهم وأصبحت ذات صور مبدعة حزينة لما تحمله من آلام ونكبات وشوق .

هذه الرؤى الشعرية والإبداعية المختنقة بتريف من القهر والعذاب والغربة ما هي إلاَ إحساس ومعاناة أدبائنا عبر هذا المخاض الدامي وهم بعيدون عن الأوطان، فالشاعر عندما يصف معاناته بمقاطع شعرية أو قطعة أدبية ذات صورة مبدعة، إنما يعني ليسمع صوته المعذب للآخرين الذين لا يدركون هذه المعاناة كما هي لدى المتغرب نفسه، حيث قول الشاعر :

((لا يؤلم الجرح إلاَ من به الألم))

فهذا هو الشاعر الكبير بدر شاكر السياب الذي فارق الأهل والأحبة وعاش سنينه يقارع مرضه الذي أودى بحياته بعيداً عن جيكور التي ولدته وربته ،فكان عاشقاً لها

ولبوبيها وماءه الذي طالما اغتسل فيه، ولشواطئ شط العرب وسفنه البهية ذات الأشرعة البيضاء كقلوب أهله وناسه، فكان حبه لها بطينها ونخلها وسمك أنهارها والتي طواها الزمن المنسي بفراقه لها حيث الغربة التي بعدته وأوقدت نار العذاب في جسده النحيل لفـــراق أهلة ووطنه وهو يقف على الخليج ويعلن صرخته الدامية في قصيدته التي بقيت خالدة إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، يتلوها المحبون ويتغنون بهـــا (غريب على الخليج) الذي أبدع في رسم صورها التي تقف شاهدة أمام أنظارنا لتبين عمق المعاناة وعذابها وهي تأكل من جسده الهزيل، فيقول :

((الشمس أجمل في بلادي من سواها

والظلام ،حتى الظلام هناك أجمل

فهو يحتضن العراق))

إنه يصور لنا عمق معاناته وهو بعيد عن العراق ويرسم لوحته الأزلية عن الظلام الذي هو في الواقع لا ترى الأشياء فيه، إلاَ أنه في العراق الحبيب أجمل وأجمـــل لأنـــه يحتضـــن العراق!!

هذه الصور التعبيرية ذات المدلولات الوصفية والبلاغية التي يخاطب الشاعر فيها نفسه وخياله وهو يقف على الخليج معلناً للآخرين غربته ومأساة فؤاده المُعذب لفراق الأحبـــة بمفردات وعبارات حقيقية مفهومة لدى السامعين والقُرَّاء على حد سواء، وهي تنبعث من فكر خصب وخيال مرهف فيقول :

((بالأمس حين مررت بالمقهى،

سمعتك يا عراق))

وكنت دورة أسطوانه))

إن عالم الحس والرؤيا عند الشاعر وفكره الداخلي يجسد لنا مشاهداته للأشياء التي حوله، وسماعه الأصوات التي تصدر من المقهى البعيد عن بلده معبراً لها وكأنه يسمعها في العراق نفسه، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تعلق الشاعر بالمكان الذي ولد فيه وهو العراق !!

هذه المخيلة التي تربطه هذا الرابط القوي هو سرُ الإبداع الذي خلَد السياب، لأنه يعبر عن جوهر المعاناة التي يئن منها والتي نقلت أفكاره عند سماعه هذه الأصوات في المقهى إلى تلك الأصوات التي سمعها وهو في العراق، عليه نرى شعر السياب في قصيدته هذه يتفجر من روحه المعذبة أسيل الحب والشوق والعذاب وما يعانيه من الغربة ومفارقته الأهل والأحبة .

وأنت تقرأ في رائعة السياب هذه وتتميز صورها المبدعة، يتبادر إلى ذهنك سماع عمق مأساته التي يعبر عنها، ومعاناته التي تتمثل بصرخته الهادرة التي تردد صداها في أعماق الدهر، وبقيت خالدة إلى يومنا هذا، تسمع نبرات الحزن والشوق وهي تناغي الأشياء الموجودة في وطنه، نبرة الحب والرابطة التي تربطه بتربته التي تربى عليها وعاش في كنفها، تسمع صوته الرافض لكل الأعمال الخبيثة وسوط الجلاّدين من الحكام المتعسفين في بلده وأمته، تسمع انتماءه إلى شعبه وأمته، تسمع صوته وهو يقول :

((ما زلت أضرب مترب القدمين

أشعث في الدروب،

تحت الشموس الأجنبية ،

متخافت الأطمار أبسط بالسؤال

يداً نديه ،

صفراء من ذل وحمى ،

ذل شحاذ غريب بين

العيون الأجنبية))

إنه والله يبكي الغربة والذل الذي هو فيه متذكراً بلده المعطاء صاحب اللفتات والموائد السنية، بلد الرافدين العظيمين دجلة والفرات، بلد السواد وبحار النفط والخيرات !!

فيمن بكاؤك أيها المتعب إنك والله تبكي ذل التشرد والغربة، فها أنت تقول :

((متى أعود .. متى أعود ؟

أتراه يأذف قبل موتي

ذلك اليوم السعيد ،

سأفيق في ذلك الصباح

وفي السماء من السحاب))

وهكذا ظل شاعرنا المعذب يترف من دمه على تراب الغربة قصائده التي ما زالت خالدة أمام أنظارنا نتغنى بها ونتعذب عند تلاوتها !!

وهذا شاعر الغربة الآخر، سفير القصيدة العراقية إلى العالم أجمع (عبد الوهاب البياتي) يسمعنا صوته وهو يناغي غربته التي أدمت فؤاده لفراق أهله ووطنه في قصيدته (سفر الفقر والثورة) الذي يقول فيها :

((من القاع أناديك ،

لساني جف واحترقت

فراشاتي على فيك،

أهذا الثلج من برد لياليك ؟

أهذا الفقر من جود أياديك ؟

على بوابة الليل

يسابق ظله ظلي

ويقبع ساغباً عريان في الحقل ،

ويتبعني إلى النهر!!

ويظل الشاعر يسطر بكائياته التي تفتت الصخور بعذاباتها وحنينها الذي يغطي به رؤاه وينقله واضحاً لنا، لنتبين عمق المعاناة والبعد الذي يلفه مع الكثير من إخوانه الذين لفهم الاغتراب وحفر أخاديد عميقة في قلوبهم كالشاعرة الرائدة نازك الملائكة وغيرها !

والحيدري واحد من هذا الرعيل الذي لفته الغربة وطوته بعيداً عن أهله ووطنه العزيز عليه، وهو أحد الشعراء الرواد الأربعة الذين لهم الفضل والصدارة في الشعر الحر في العراق والعالم العربي ((**بدر شاكر السياب، عبدالوهاب البياتي، نازك الملائكة، وبلند الحيدري**)) !!

فها هو يرسم صوره المبدعة في معاناته الدامية من قصيدة له في الغربة ومن ديوان له أسماه ((**خطوات في الغربة**)) يقول فيها :

((**هذا أنا**

ملقى .. هناك حقيبتان

وخطىً تجوس على رصيف

لا يعود إلى مكان ،

من ألف ميناء أتيت ،

ولألف ميناء أصار

وبناظري ألف انتظار))

ما هذا الانتظار أيها الشاخص أمامنا بمواويله وبكائياته التي أدمت والله قلوب القـــراء والدارسين، ألكل هذا وأنت تنتظر وتخاف أن تصحو بك تلك الليالي الصامتات الحزان ؟

وتظل تحلم أن يكون لك ظل وبيت وقد يعود بك الزمان ؟

هيهات أيها المغترب، فلقد سبق السيف العدل وها أنت تغادر هذه الدنيا وأنت تعوم في غربتك، و لم تحصل على تلك الأشبار الخمسة من قبر بسيط في بلدك الذي رباك صغيراً وأبكاك كبيراً !!

ألست القائل في أحد قصائدك المبدعة وأنت تنعى نفسك في الغربة التي أدمت فـــؤادك الضامي وجعلتك فارغاً حتى من الأصدقاء والخلان :

((سأموت لا ماضٍ يحن لرؤيتي

يوماً ولا خلٍ سيدرك ما أعي))

وهذا الشاعر المبدع سعدي يوسف الذي غادر العراق مضطراً للظروف السياسية التي أجبرته أن يترك محبيه ووطنه، فكانت محطته وغربته دول المغرب العربي التي كان لهـــا دور مهم فيما كتبه هناك، ولها تأثير واضح في شعره، حتىَ أن عناوين دواوينـــه ومجموعاتـــه الشعرية هناك أخذت طابعاً لافتاً للنظر لما تحمله من مصطلحات ذلك العالم، كديوانيـــه ((**نهايات الشمال الأفريقي**)) و ((**الأخضر بن يوسف ومشاغله**)) !

فهو ينحو في شعر الغربة منحى الشعراء الذين سبقوه فيها كبدر شاكر السياب وأمثاله، تتميز قصائده بالنبرة الوطنية والإنشاد للوطن والشوق إليه، فالشوق والحب الذي يعانيه وهو بعيد عن أهله ومحبيه، يطغى على أكثر مقاطع شعره الذي قاله هناك، فمن قصيدة ((**عبور الوادي الكبير**)) يقول :

((... إن كل المنازل مغلقة ،

فأمام الوجوه الشريدة لا يفتح الناس أبوابهم ،

حين نسافر ننسى الحقائب ،

أو ننسى متاعبنا وكتاب القصائد ،

يا أيها الفارس المستميل فظل المسافات تنأى ،

وفي مقلتيك تغور الشواطئ))

فعلى الرغم ما تحمله قصيدة الاغتراب من معاناة وألم وصور شفيفة، غارقة بالأحاسيس والعواطف والأفكار التي تنقلك إلى عالم المعاناة والتشظي، فإن تلك الصور وموقعها الإبداعي، تمثل لك العمق والنضوج الشعري لدى الشعراء المغتربين، فكأنك تسمع الشاعر سعدي يوسف وهو يرثي أحبته من الشعراء المغتربين الذين صهرتهم شمس الغربة وعذابها وكأنه يرثي نفسه معهم **حيث يقول** :

((يرحل الشعراء

واحد بعد آخر في آخر الليل ،

لم يحملوا معهم غير زاد الفقير ،

وتذكرة لم تؤرخ ..

أقول لهم لا تحتَو الخطى انتظروا ساعة ..

نحن في آخر الليل

لكنهم يرحلون!!!!))

فهو دائم الفكر والسؤال عن رفاقه وزملاء غربته أينما حلوا وسكنوا في أقاصي الأرض المعمورة، يسأل عنهم في منفاهم البعيد ويتحسس أحوالهم ويبكي لبكائهم فكانت هذه البكائيات وهذه الصرخات !!

والسماوي واحد من شعراء الغربة، وواحد من هذا الرعيل الذي أدمت الغربة والشوق إلى وطنه فؤاده، إنه واحد ممن لعقوا جراحه واستكانوا للتغرب بعيدين عن هذا الوطن الذي أصبح على البعد نبراس غربتهم الروحية، إنه يخيط والله عباءة صبره ليلتحف بها عبر مخاضات عوالمه المندحرة في أمواج الشوق والألم !

فلقد ظل الشوق والحنين إلى الوطن طاغياً على مضامين شعره، يتحسس الأشياء في غربته ويحدق إليها بعينين مسهدتين أتعبها هطول المطر !!

يعيش الشاعر يحيى السماوي غربتين في آن واحد، غربة وطنه الكبير وأهله ومحبيه، وغربة انعزاله وانحسار الثقافات التي تنطوي عما يراه مناقضاً للأسس الإنسانية في الدفاع عن الحقوق المهضومة للشعوب المضطهدة، ومنها شعبه وأمته، وغموض الرسالة الإنسانية التي هو واحد من هم أجدر بالإعلان عنها في كل أصقاع الأرض !!

((سأبقى ضارباً في الغربتين ،

أفر من نفق ..

لأدخل في نفق !))

فهو يستغيث ويئن ألماً وحسرة على بلاده الممزقة والمباعة في سوق النخاسين، تتقاذفها أمواج التصحر والطائفية، تعبث فيها أيدي الفساد وسلاسل الحرمان، وهو ما يزال يحلـــم في أحلام واهية :

((فليس سوى الحلم ،

لابد من حلم ،

لا أعرف إنني قد نمت ليلي

في غيابك ،

الآن يكتمل انتصاري ..

باندحار غرور أشجاري ،

أمام ظلال غابك))

ويكبر به الحزن والألم، ويحترق شوقاً مكابراً بحبه حتىَ إلى سراب يقبع فيـــه منطويـــاً بعباءة صبره زاهداً كل الأشياء :

((إني ليغنيني قليلك عن كثير

الأخريات ،

فلا تلومي ضامئاً هجر النمير

وجاء يستجديك كأساً

من سرابك))

هكذا يبقى السماوي يحترق بلهيب غربته بعيداً عن وطنه وسماوته المدينة التي تربى فيها مع أهله وذويه، فصبراً أيها الضامؤون !!

فالغربة ألم وحسرة وشوق وانتقال الروح طيراً تحلَق على أفياء الوطن وحنان الأهل ودفء الحبيبة، فينهال الشعر إبداعاً خالداً يرسم صوره الشاعر المغترب على الحجر الصوان ليبقى خالداً !

فهذا الشاعر رشدي العامل بن مدينة (عانة) الزاهية بطبيعتها الخلاّبة بعد أن هاجر عن أهله ووطنه وألمت به الغربة إلى الحد الذي يخاطب فيه الليل وهدوءه الساكن وصوته المسموع، يستعين به ليعبر عن ذاته الحزينة التي أدهشها الحزن والرعب والقلق :

((ينتصف الليل ،

يظل الجرس مشلولاً،

والخطوات تغيب على الدرب))

ويخاف من زحف الليل على ستاره الذي لا يكاد يغطي رياح الشوق والحرمان الذي يهزه كما البرد يعوي في ضلوعه :

((هل ترجفين الآن في

هذا الليل الزاحف فوق الجزر المنسية ،

وأنا وحدي أحلم بالخصلات

المرضية))

وهنا تبرز الغربة بنسيجها الرهيب لتخنق وحدته القاتلة، وتكشف معاناته وتزيد من كتل الغيوم التي تسد منافذ أحلامه الدافئة، فينطلق محلقاً بصوره المبدعة مخاطباً ذاته ليطلق مصطلحات هذه الصور وموادها الرخامية الصلدة لتبقى خالدة أمام أنظارنا اليوم :

((زحف الليل يلف الكون

في صمتٍ رهيب ،

فادن من قلبي مع الليل

لنشدو يا حبيب))

وتكثر الإشارات الرمزية في شعر العامل التي يخاطب بها الليل تارة والحبيبة والنجوم تارة أخرى، ثم يبكي غربته بعيداً عن الأهل والوطن، وما يلف وطنه من عذاب وبؤس :

((يوقظ فيها الملح حتىَ الخدر

فتصرخ الأغصان ،

قطرات ماءٍ ويذبل الورد ،

ويذوب الزهر ،

حتىَ تمص الريح

ماء التمر))

ثم ينطوي بأحلامه ويتمنى لو يعود إلى وطنه وبيته بين أهله وأحبته:

((يخرج الصمت من بيته

في الصباح ،

يعانق برد الأزقة ،

يبكي الورد ..

تبكي الحمامات ..

يسأله النهر :

هل نعود إلى بيتنا))

وهنا إشارة لابد منها فهو يستخدم الطبيعة إشارة إلى شوقه وحنينه إلى وطنه وأهلـــه ومحبيه، ليحكي حرمانه ووحدته، ويتمنى لو أنه يحلّق طيراً على أفياء وطنه :

((الطائر المأسور ..

فر إلى جزيرة النسور ،

خلف عشاً موحشاً

مهجور ،

وريشتين من جناحه المكسور))

وهذه إشارة واضحة إلى تغربه وهجره أهله وزوجته وتلك الريشتين التي يشير لهما إلى ولديه (**علي ومحمد**) !!

تزدلف الرؤيا عند الشاعر إبراهيم الأحمد النجفي في رؤاه المختنقة بواقع غربته المأساوية وهو يصبو إلى مدينته (النجف) الذي ولدته وخرج منه منفياً تاركاً بيتا ووطناً، بعد أن أضناه البؤس والحرمان والتعسف راحلاً إلى إيران يلوك غربته وحياة قاسية قضاها هنـــاك حتى وفاته فيها إثر مرض عضال !

وهو يعاتب وطنه العراق بقصيدته التي أسماها (المعجزة) من ديوانه اليتيم ((وهل قلت شيئاً يا وطن))، ويبكي على شاهدة غربته المصلوبة على أفنان منائر مدينته المقدسة، رافضاً كل التفاهات في وطنه الذي تلعب به الرياح الهوجاء وتعسف الحكام !!

((.. يا أنت ..

يا وطني الطين

وأحلامي المدفونة في غربة

عمري والنجوى ،

أصلبني ..

كي تنسب أعواد الشنق

لأحجار الروض ،

وتملأ هذا الأفق شموس

الثورة))

بهذه البكائية الخالدة أحيا النجفي حياة الغربة وأدماها بدموع الشوق والألم والحنين إلى الأهل والوطن !

ليس المبدع من يدرك الخسارة، ولكنما من يعيش مراحلها ويتنفس من مخانقها، ويتسربل بردائها !

غربة وعوزاً ومرضاً ونفياً وضياع، فهذا الشاعر المبدع أحمد مطر يعيش القضية الكبرى (فلسطين) بكل جوارحه، يبكي على أنقاض الماضي ويناجي صلاح الدين تارة، ثم يميل على صلاحات اليوم وما تعنيه هذه الكلمة من معنى وطيف لديه، تحمل دلالات ورموزاً لها صلة بالواقع الذي نعيشه ويعيشه الشاعر !

فلسطين كبغداد، وبغداد كالقاهرة وسائر العواصم العربية الأخرى، وهذا ظـــاهر في معظم قصائده إذا ما قلت كلها، إنها التجربة المرَة التي تركزت في ذاكرته ،والخسارة التي مُني بها العرب لا النجاحات التي حصلت عليها، فصوته تأويل لمنـــابع الشـــر والضـــياع والتردي والخذلان، لذا نراه يصورها لنا بعدسته اليقظة وفكره الثاقب بهذه الصور الخلاّبة الداعية إلى الوقوف الصحيح والتحدي لإعادة حقوقنا المسلوبة ((فلسطين)) أسمعه وهـــو يصدح في هذا المقطع من قصيدته ((كلا والصبح إذا أسفر)) : !!

((كُرة الثلج إذا ما كرت

كبرت أكثر ،

وانحدرت وفق طرائقها

جاعلة كل عوائقها معها

مذعنة تتحدر ،

كرة النار إذا ما كرَت

صارت أكبر ،

وجرت في كل مفارقها

تفخر أفواه مفارقها

تفخر أفواه حرائقها

لتسف اليابس والأخضر ،

وقضيتنا منذ ابتدأت

كرة يتقاذفها العسكر ،

فلماذا ذكر قضيتنا يتضاءل

مهما يتكرر ؟

ولماذا شبر تقدمها

خمسين ذراعاً يتأخر ؟

في البدء قضيتنا وطنٌ

كنا ندعوه فلسطين

ألقته مخالب محتالٍ

بين براثن محتلين

فكتبنا بدمانا عهداً

أن نفنى .. أو أن نتحرر ،

لكن صلاحات الدين جمعوا

أسلحة الإسكندر ،

وأغاروا بعصا أيوب

واقتحموا الميدان كعنتر ،

وانسحبوا منه كشيبوب ،

بالإنقاذ أضاعوا نصفه

بالغوث أحالوه لضفه

بالرفض اختصروه لمخفر !!))

وهكذا يظل الشاعر يسطر لنا بكائياته وآلامه التي شاركت الغربة في أن تـــؤثر فيـــه وتأخذ حصتها من جسده النحيف، يظل باكياً شاكياً هذا التخاذل والخذلان من لـــدن الحكام العرب ويا له من خذلان !!

في هذه الإيحاءات المتمثلة في هذه الصور البلاغية الناطقة، والتي يعاملها الشاعر عبـــدا لكريم كاصد مع الواقع المر الذي يعيشه أبناء جنسه في المغترب، تشع منها تعبيرات متعددة لتعالج قضايا وتناقضات أغلب مضامينها فكرية وحسية، يهدف فيها الكاصد وضع الدواء على الجروح الغافية في الأخاديد التي حفرها الزمن على وجـــوه العـــابرين في مطـــارات ومحطات الغربة بقصيدته التي أسماها ب (عراقيون) الذي أعتمد فيها على بناء الصـــورة، على خلفياته التعبيرية وموسقة تركيب البناء فيها !!

وهذا طبعاً أهم وأغنى البناءات لإيقاع الوحدة الفنية في تركيبات الصـــورة الشـــعرية فيقول :

((عراقيون ..

هل أبقوا على شيء تكسر

في الطريق ؟

أخفوا أمواتهم يبكون

وانتظروا مجيء الله ،

هل أغفوا على طريق خفيف

مثل وخز النار ؟

هل عادوا على آثارهم يمشون ؟

عراقيون ..

عراقيون ،

لغطٌ كالحصى ينداح،

تذكر صرخة الأطفال في

خان تمدّم للهنود ؟

قوافل أغراب في البصرة

والأشباح تمضي بالسراويل

الطويلة واللحى البيضاء

أغراب عراقيون !!))

هذه الرؤى تشكل المعنى عند الشاعر من خلال تجسيده للظواهر والأشياء التي يراها ماثلة أمامه، فيهيم في وصف الصورة الحسيَة ويتجلى إبداعاً في لحظات التجلي في صناعتها وفنيتها وإيقاعها !!

من يتصفح شعر الغربة والمغتربين يرى بعين لا تقبل الشك حالة الشجن والشوق والألم يؤطر القصائد ومعانيها ورمزيتها !

فها هو الشاعر المغترب وليد هرمز وهو يفتح بابه بعد ربع قرن من الصقيع الإسكندنافي، يفتحه من بعيد ليوقد شمعة من جديد، ويحضر كل شيء، الكؤوس، السجائر، جهاز الموسيقى، آلات الفوضى، ويسمع نقراً موحشاً يتصاعد من بعيد، بعيد جداً وهو يعد لاستقبال زائره لكنه لم يره أبداً، ثم يحاول لكنه لم يره .. للمرة الألف، ثم يلتحف بغبار السنين ويسمع عويلاً من بين خبايا الغربة !!

هكذا أرى الشاعر وليد هرمز وهو يحكي لكاهن الشعر البريكان عن غربته التي ألمت به وأبعدته عن أهله ووطنه عبر هذه القصيدة المفجعة التي تعيد تلك الفاجعة التي راح ضحيتها الشاعر الرائد محمود البريكان !!

((على مسطبة القبر غصن نحيف

غصن ذهبي يراوغ الوحشة وعويل

عزلة الشاعر في كوكبه الأبدي

غصن تمري يلتذ بالوحشة على محراب كاهن الشعر

بالغصن أنقر، على السور، نقر خفيف

محمود أراقد أنت محمود ؟

أتقرأ الشعر محمود ؟

أتكتب قصيدة محمود ؟

أسمعك تدندن القوافي

وصوتك يرتجف .. من الطارق ؟

ضيف جاء بعد ربع قرن من الصقيع الإسكندنافي

لحظة لا تضيء الفنار، سأوقد شمعة، سآتي بالكؤوس

ما هذا النقر الهائج محمود ؟

مطرٌ وقبض ريح

لا عليك أيها الضيف، أكاد لا أراك، لكنني أسمع صوت إياب،

وما الصوت من حولك يا محمود ؟

صدى سنين، تعيد حلم غابر ،

لا تغلق نافذتك يا محمود ؟

دعنا نرك عبرها يا محمود ؟

نافذتك نافذة للحب، حتى وإن كانت مسدلة الستائر

دعها يرشح منها الضوء وظل موسيقى، وقهقهات تشق المغيب

نافذتك يا محمود نافذة زرقاء

تضيء في وجه ظلام الكون !))

وهكذا يختم الشاعر هذه الحوارية الحزينة مع شاعره الرائد محمود وقلبه يقطر حزناً وألماً!

وعندما يمتد هول الفاجعة إلى قمة مراميها في ذات الشاعر، ويتذكر الوطن المبعد عنه وهو في محنته بين ذئاب العصر، يخيل إليه أن الوطن مثله طالباً للجوء، وأنه لابد من أن يلجأ كغيره من فرط ظلم الحكام االمتعسفين بحقوقه !

عليه أرى شعراء الغربة خصوصاً يطلبون من اللغة التي هي الأداة السحرية لديهم أن تكون السيف الذي يدافعون بواسطته من جهة والقلم الذي هو سيف آخر لتسطير تلك الفواجع التي تؤلمهم وتؤلم شعبهم !

لذا يهب الشاعر عبدا لأمير جرص على تحريك تلك النصوص في لغة بسيطة بعيدة كل البعد عن البهرجة والتنطع البراق، لكي تكون سهلة لدى المتلقي، وبالتالي تشكل جسداً شعرياً متوازناً مكثفاً بأدواته الرمزية التي تشكل جمالية النص الشعري وموارية قدسيته ، **فيقول :**

((.. مرة أستيقضنا فلم نجد الوطن ،

قيل لنا ...

لَمَّ الوطن جميع حاجياته

جمعها شجرة شجرة ،

وهراً نهرا ،

ورحل بعيداً !

أوطانٌ كثيرةٌ لن تجد مكاناً ،

أوطانٌ كثيرةٌ ،

تفكر بالهروب من الخارطةِ !!))

هي تلك المأساة عند الشاعر الجرص الذي طالما دقَ سنين عديدة من غربته لكنه لم يُسمعْ !!

وهذا الشاعر المبدع عدنان الصائغ الذي حمل بجعبته ألم الغربة والشوق إلى أهله ووطنه وأحبته، وارتحل بعيداً عنهم، فيما بقي فكره معلَقاً بنهري عراقه الحبيب دجلة والفرات، حمل معه الحنين إلى نخيل العراق وشاطئيه، إلى بغداد ومرا في ء الحنين فيها، حمل أوجاعه وارتحل بلا أمتعة سوى الكلمات التي تطوف بفكره والتريف الشعري المسهد الذي حفره على جدران الغربة في أوطان المنافي التي ولجتها قدميه هناك، وأصبح أسما بارزاً بين أدباء جيله ! فسلام عليه في غربته وفي ترحاله وأينما وجد !

والصائغ كثيراً ما مازج بلواعجه التي أدمت فؤاده بين المرأة التي جعلها مُدخلاً لقصائده التي صور فيها محطات الوطن والحرب والتشرد والمنفى وآلام الغربة التي ولجت وأخذت من جسده الكثير، فها هو يقول في قصيدة أسماها (غربة) من ديوانه (الكوفة) وهو في بلد الغربة لندن عام ٢٠٠٤ م :

((مرةً، في القصيدةِ، لمْ نجترحْ وطناً

كان يكفي لكي نتلاقى

مرةً.. كنتِ في لوحةِ المستحيلِ

تسيرين جنبي

فأزدادُ منكِ التصاقا

مرةً، في المواويلِ

أو في العويلْ

مرةً، في الصباح القتيلْ

مرةً، في الرصاصِ الذي أورثَ الدمَ

جيلاً فجيلْ

مرةً، في اخضراركِ..

آخيتُ بين الندى المرِّ،

والسوسنةْ

ومِلتُ على نهدكِ البضِّ، كي أحضنَهْ

فلمْ أرَ إلاّ ضلوعاً تشدُّ الرحيلْ

كيفَ من بعدِ عشرين عاماً

أعدتِ العراقا الجميلْ

أعدتِ العراقا

أعدتِ النخيلَ،

الضفافَ التي سامرتنا

الأغاني التي أرقتنا

فكنتِ أشفُّ وصالاً

..... وكنتُ أشدُّ احتراقا

.....

مرةً..

مرةً...

ربما، يلتقي العمرُ

في صدفةٍ

آهٍ... – يا غربتي –

فيذوبُ عناقا))

وهكذا مثل ما يراه القارئ وهو يصف تلك المعاناة الحزينة ويلصقها بفتاته التي يناغيها بهذه الصور الرومانسية المبدعة فهو كالطائر الذي احتوته يدُ طفل يلعب به وهو لا يدري أن الطائر يتعذب!!!